الفصل الثالث

مقومات الأخوة الاسلامية

المبحث الأول ـ رابطة الولاء فى الله :

قامت الأخوة الايمانية على أصل العقيدة دون اعتبار للنسب أو اللون أو الأرض أو اللغة . وبهذا كانت العقيدة الايمانية جنسية المؤمن ، اليها انتسابه وانتماؤه وولاؤه ، وكان هناك انخلاع من البيئة الجاهلية وعرفها وتصورها وعاداتها وروابطها ينشأ عن الانخلاع من عقيدة الشرك الى عقيدة التوحيد .. وينشأ من الانضمام الى التجمع الاسلامى[1] .

وبهذا كان للأخوة الايمانية أثرها فى الولاية والتناصر بين المؤمنين. يقول الله تعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾(٢) .

وهذه الولاية انتماء وانتساب فاعل ، وليست مجرد دعوى ، يقول الله تعالى : ﴿ **ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ، والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا** ﴾(٣) .

لأنهما حزبان : مؤمن وكافر ، ولأيهما كانت الولاية كان الانتساب ـ بنص القرآن ، يقول العزيز الحكيم :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾(٤) .

---

(١) معالم فى الطريق ـ سيد قطب ، ص ١٧
(٢) التوبة : ٧١ (٣) الانفال : ٧٢
(٤) المائدة : ٥١

ـ وهى قيد فى المحبة الايمانية كى تكون محبة مؤثرة ـ وليست محصورة بين أضلاع الصدر بحيث لا تزيد أن تكون اعجابا أو حنينا ، فهى تصدق بما تقتضيه من الاعتزاز بالاسلام ، والدفاع عنه ، والمناصرة لأهله • وهى توجيه للمحبة الى المسار الصحيح الذى لا يلتبس فيه الحق بالباطل ، ولا يعرف المجاملة للمخالف بالباطل • قال عز وجل :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾(١) •

ولذا جاء الحصر فى قوله تعالى :

﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾(٢) •

ـ ان تولى المؤمنين ومناصرتهم يلزم منه البراءة من الكافرين ومعاداتهم • ذلك أن الاسلام جاء ليقرر أن هناك وشيجة واحدة تربط بين الناس فى الله ، فان انبتت فلا صلة ولا مودة • قال تعالى :

﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ﴾(٣) •

وأن هناك حزبا واحدا لله لا يتعدد ، وأحزابا أخرى كلها للشيطان ، قال تعالى :

﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ﴾(٤) •

وأن هناك طريقا واحدا يصل الى الله وكل طريق آخر لا يؤدى اليه قال تعالى :

---

(١) الممتحنة : ١
(٢) المجادلة : ٢٢
(٣) المائدة : ٥٥
(٤) النساء : ٧٦

﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾(١) .

وأن هناك نظاما واحدا هو النظام الاسلامى وما عداه من النظم فهو جاهلية . قال تعالى :

﴿ افحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾(٢)

وأن هناك حقا واحدا لا يتعدد وما عداه فهو الضلال . قال تعالى :

﴿ فماذا بعد الحق الا الضلال ، فانى تصرفون ﴾(٣) ، (٤) .

ـ والشأن الدائم أن لا يتعايش الحق والباطل فى هذه الأرض . وأنه متى قام الاسلام باعلانه العام لربوبية الله وعبوديته للعالمين وتحرير الانسان من العبودية للعباد رماه المغتصبون لسلطان الله فى الأرض ولم يسالموه قط ، وانطلق هو كذلك يدمر عليهم ليخرج الناس من سلطانهم ويدفع عن الانسان فى الأرض ذلك السلطان الغاصب(٥) . قال تعالى :

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾(٦) .

ـ من هنا اقتضت الولاية الجهاد فى سبيل الله . وفى الجهاد صدق الولاية ، يقول الله تعالى :

﴿ أم حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ، والله خبير بما تعملون ﴾(٧) .

وتركه سبب لاستمرار الشرك والقضاء على حكم الاسلام وفتنة المسلمين عن دينهم وظهور الفساد فى الأرض . يقول عز وجل :

---

(١) الانعام : ١٥٣ (٢) المائدة : ٥٠
(٣) يونس : ٣٢
(٤) معالم فى الطريق ـ سيد قطب ، ص ١٣٦ ، ١٣٧
(٥) المرجع السابق ، ص ٦٨
(٦) الحج : ٤٠ (٧) التوبة : ١٦

﴿ والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ﴾(١) .

ـ وأعلى درجات هذا الجهاد : الجهاد بالنفس وبالمال ، يقول تعالى : **﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله ، واولئك هم الفائزون ﴾(٢) .**

والجهاد استجابة لأمر الله بالدفاع عن الدين وأهله ، والبراءة من أعدائه ، والاهتمام بأمر المسلمين ، وفداؤهم بالنفس وبالمال .

والمجاهد يظهر مع اخوانه المجاهدين كالبنيان المرصوص ، يحفظ سرهم ، وينصح لهم ، ويرفق بهم ، ويؤثرهم على نفسه ، ولا يضن عليهم بقوة ولا مال ولا رأى ، ولا يخون ولا يغل .

فالجهاد قصة الولاية الايمانية فى جميع فصوله : الاستعداد له ، وخوض معركته ، والاشتراك فى غنيمته .

ـ لقد كان من حكمة الله سبحانه أنه لم يطلب من الناس فى العبادة بأنواعها أن يبالغوا فيها أو يستفرغوا فيها كل جهدهم ، ولكنه طلب ذلك فى الجهاد(٣) حين قال :

﴿ يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده ﴾(٤) .

ومن هنا وجب على أصحاب الكلمة الجهاد بها . سواء أكانوا شعراء أم خطباء أم كتاب . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »(٥) .

---

(١) الانفال : ٧٣ (٢) التوبة : ٢٠
(٣) مع العقيدة والحركة والمنهج ـ على عبد الحليم محمود ص ١٤٩
(٤) الحج : ٧٧ ، ٧٨
(٥) ابو داود : جـ ٣ ص ٢٢ ، ٢٥٠٤

وقال : « ان من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر »[1] .

ـ وانه لابد لتحقيق أصل الولاية الصادقة والتناصر بين المؤمنين من أمور :

اولها ـ غرس عقيدة الولاء والبراء فى نفوس المسلمين :

يقول الله تعالى : ﴿ **ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين** ﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ **وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ، والله ولى المتقين** ﴾(٣) .

انطلاقا من قوله تعالى :

﴿ **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم أو عشيرتهم ، اولئك كتب فى قلوبهم الايمان** ﴾(٤) .

وامتثالا لقوله تعالى : ﴿ **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون** ﴾(٥) .

واقتداءا بأنبياء الله وأوليائه :

فهذا نوح أول الرسل ـ يطلب منه قومه طرد أتباعه المؤمنين فيرد عليهم : ﴿ **وما انا بطارد المؤمنين** ﴾(٦) ويدعو لأتباعه :

﴿ **قال رب ان قومى كذبون . فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين** ﴾(٧) .

---

(١) ابو داود جـ ٤ ص ٥١٤ (٤٣٤٤) ، والترمذى (٢١٧٥) كلاهما من أبى سعيد .

(٢) فصلت : ٣٣
(٣) الجاثية : ١٩
(٤) المجادلة : ٢٢
(٥) التوبة : ٢٣
(٦) الشعراء : ١١٤
(٧) الشعراء : ١١٧ ، ١١٨

ومن جانب آخر يبرأ الى الله من سؤال النجاة لابنه الكافر :

﴿ قال رب انى أعوذ بك ان أسالك ما ليس لى به علم ، والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين ﴾(١) .

ومثل ذلك كان لآخر الرسل عليهم الصلاة والسلام فيقول له ربه :

﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا ﴾(٢) .

ومن جانب آخر نزل عليه فى عمه أبى لهب : **﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾(٣) .**

وفى عمه أبى طالب :

﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ﴾(٤) .

يجب أن نغرس تلك العقيدة فى نفوس المسلمين بمثل ما صورها القرآن ــ فى قصص الأنبياء ــ وعلى رأسهم أبو الأنبياء ابراهيم الذى تبرأ من أبيه وقومه حين كفروا بالله .

يقول الله تعالى : **﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾(٥) .**

وفى قصص أولياء الله : كأصحاب الكهف الذين اعتزلوا قومهم وسكنوا الغار .

يقول الله تعالى فيهم : **﴿ واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا ﴾(٦) .**

---

(١) هود : ٤٧ (٢) الكهف : ٢٨
(٣) المسد : ١ (٤) التوبة : ١١٣
(٥) الممتحنة : ٤ (٦) الكهف : ١٦

وكامرأة فرعون : ﴿ **اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين** ﴾(١) .

* *

وثانيها- غرس الثقة بهذا الدين فى نفوس المسلمين :

فان موالاة هذا الدين لابد أن تصدر عن قناعة بربانيته ، وكماله ووعد الله بنصره واظهاره . قال تعالى: ﴿ **ان الدين عند الله الاسلام** ﴾(٢)

وقال : ﴿ **ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون** ﴾(٣) .

وقال عن أمة الاسلام : ﴿ **كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾(٤) .

وقد وعد عز وجل بالنصر لهذا الدين ولهذه الأمة فقال :

﴿ **هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** ﴾(٦) .

وهو القائل سبحانه : ﴿ **ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، ان الله لا يحب كل خوان كفور** ﴾(٧) .

والقائل . ﴿ **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** ﴾(٨) .

﴿ **ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم** ﴾(٩) .

---

(١) التحريم : ١١
(٢) آل عمران : ١٩
(٣) المائدة : ٥٠
(٤) آل عمران : ١١٠
(٥) الصف : ٩
(٦) الروم : ٤٧
(٧) الحج : ٣٨
(٨) النساء : ١٤١
(٩) محمد : ١١

وحين ندرك حقيقة الاسلام على هذا النحو فان هذا الادراك بطبيعته سيجعلنا نخاطب الناس ونحن نقدم لهم الاسلام فى ثقة وقوة وفى عطف كذلك ورحمة .. ثقة الذى يستيقن أن ما معه هو الحق وأن ما عليه الناس هو الباطل[1] .

* *

وثالثها ـ بيان بطلان ما خالف الاسلام . ورد شبه الأعداء :

قال الله تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾[2] .

وان أعداء الاسلام فى كل عصر يستهدفون صرف الناس عن الهدى وصدهم عن الحق . ويسوؤهم دائما أن يستجيب البشر لدعوة الله ويتبعوا منهجه القويم ، ويتخذون لبلوغ أغراضهم السيئة وسائل شتى من الدس والتشويه والتشكيك ، ولا يتوانون أبدا عن خطتهم الماكرة المدمرة فى تفريق الصف المؤمن وتمزيق وحدته وتوهين قوته وفك ارتباطه بدعوته .

وان من طبيعة رسالة المسلمين وحقيقة وظيفتهم توجب عليهم أن لا يكونوا فى عزلة عن سير الحياة فلا يليق بهم أن يعيشوا على هامشها أو ينأوا عن معركتهم فيها فشت اليوم نظم وتيارات ومذاهب واتجاهات ينبغى أن تحدد موقفنا منها على هدى من نور الله وعلى بصيرة من شريعتنا الغراء .

فى ضوء هذه الحقيقة ينبغى أن يخوض أبناء هذه العقيدة معركتهم فى كل جانب من جوانبها .. معتصمين بحبل الله واثقين بأحقية مبادئهم وصحة مقاييسهم[3] .

---

(١) معالم فى الطريق ـ سيد قطب ، ص ١٥٣
(٢) آل عمران : ٨٥
(٣) لمحات فى الثقافة الاسلامية ـ عمر الخطيب ، ص ١٠٦ ، ١٠٧

يقول الله تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ، وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك ، فلا تكونن من الممترين** ﴾(١) .

* *

ورابعها ـ احياء عقيدة الجهاد فى قلوب المسلمين :

فان الصورة المثالية الرفعية للمؤمن لا تكتمل الا بالجهاد فى سبيل الله والجرأة فى ايصال كلمة الله الى عباد الله دون خوف من لوم اللائمين من أهل الشر والفساد الذين يسوؤهم دائما أن يكون الناس مع الحق وعلى الحق(٢) .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق »(٣) . ان هذه العقيدة هى التى يجب أن تكون مظهر الولاء لهذا الدين ، والصفة المميزة لأهله .

يقول تعالى : ﴿ **يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** ﴾ (٤) .

ولا بد لتلك المسيرة من بيان عداوة الكافرين للمؤمنين أولا :

بقوله تعالى : ﴿ **ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون** ﴾(٥) .

---

(١) البقرة : ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) مع العقيدة والحركة والمنهج ـ على عبد الحليم محمود ص ١٤٩

(٣) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٥١٧ ، ١٩١٠

(٤) المائدة : ٥٤ .

(٥) الممتحنة : ٢

وبما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدوركم اكبر ، قد بينا لكم الآيات ، ان كنتم تعقلون** ﴾(١) .

وبأنها عداوة لا تستثنى قرابة ولا ترعى عهدا ، كما قال تعالى :

﴿**كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة، يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون** ﴾ (٢) .

ولا تشترط فى خصمها شيئا أن يكون مؤمنا ، كما قال تعالى .
﴿ **لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة ، واولئك هم المعتدون** ﴾(٣) .

وبيان فضل الجهاد فى سبيل الله وما وعد به المجاهد من الحسنيين.

ثانيا ــ بقوله تعالى : ﴿ **ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص** ﴾(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون** ﴾(٥) .

وبوعده الصادق فى قوله تعالى : ﴿ **انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾(٦) .

وبقوله صلى الله عليه وسلم : « ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض »(٧).

---

(١) آل عمران : ١١٨ .
(٢) التوبة : ٨ .
(٣) التوبة : ١٠ .
(٤) الصف : ٤ .
(٥) آل عمران : ١٦٩ .
(٦) غافر : ٥١
(٧) صحيح البخارى : ص ٢٧٩٠ عن أبى هريرة ، صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٥٠١ ، ١٨٨٤

ورد كل فرية وكشف كل شبهة يثيرها الأعداء حول الجهاد الاسلامي.

ثالثا ـ كفرية انتشار الاسلام بالسيف ، بقوله تعالى :

﴿ لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ﴾(١) .

وكشبهة الدفاعية الذليلة لمشروعية الجهاد ـ بحيث يصير الاسلام هدفا لكل رام يتعلم فن الرماية ، وآخر أمره الى التصدع والانهيار بقوله تعالى : **﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾(٢) .**

ـ ان الجهاد الاسلامى هو حقيقة الولاء الصادق ، يقول الله تعالى : **﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾(٣)**

﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ﴾(٤) .

* * *

(١) البقرة : ٢٥٦ (٢) الأنفال : ٣٩ .
(٣) النساء : ٧٦ . (٤) المائدة : ٥٦ .
وانظر : الأخوة الايمانية ـ ابراهيم بن محمد آل سلطان ، ص ٤٤ـ٥٣

المبحث الثانى

العبادات واثرها فى تقوية روابط الاخوة :

لقد كان هدف الدين الاسلامى من وقت أن بدأت أنواره تتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مجتمعا متضامنا متآلفا ، وكان من أهدافه المثلى أن يربط بين متبعيه بأسمى علاقات الود والتعاون والاخاء ، وأن يزيل من نفوس أهل الجاهلية ما ركز فيها من الحمق القاتل والعصبية البغيضة والعنصرية الهوجاء ، جاء هذا الدين ليسوى بين الناس ويرفع من شأنهم حتى يحس كل فرد منهم بالكرامة الآدمية ، جاء ليبعث نور الهداية السماوية فيبدد ظلام الغى والضلال .

خرجت هذه الشريعة على العالم تبعث قسمات المحبة والألفة لتقضى على ما كمن فى النفوس من البغض والكراهية ، لقد كان العالم فى حاجة ملحة الى هذا الدين ليرفع عن كاهله عبء النحل المختلفة والنظم البشرية المبتكرة والفلسفات المصطنعة ، تلك الأوضاع التى عانى منها المجتمع البشرى كثيرا حتى أصبح أهله كالشياه العجفاوات فى الليلة المطيرة ضلت طريقها ، وفقدت مرشدها ، ونأت كثيرا عن مأواها فتخطفتها الأيدى العابثة لتلقى بها فى خصم المنافع الشخصية ، بباعث من الأنانية وحب الذات ، كان العالم فى هذا الحين بعيدا عن هداية سماوية ترتقى بنفسه الى مدارج الكمال الروحى ، لقد أخلد الى الأرض واتبع هواه ، فاقدا الناصح الأمين والمرشد الملهم ، عاش العالم فى تلك الفترة ، القوى فيه يفتك بالضعيف الذى عدم وسيلة الدفاع أو الانتصار ، والصحيح فيه ينسى حق المريض الذى فقد وسيلة الصحة والعلاج ، وقد تفنن الأذكياء فى تسخير الجهلاء لأغراضهم الشخصية ، وحدثت الانقسامات بين الناس ووجدت بينهم الفوارق الطبقية من سيد ومسود ، حر وعبد ، حاكم ومحكوم ، ذكر وأنثى ، أبيض وأسود ، هذا من عنصر وذاك من آخر

مما تولد عنه الصراع النفسى الضعيف كالجذوة الهادئة التى لا تلبث أن تشتعل عند هبوب أية عاصفة مما ترتب عنه وجود المشاكل العالمية والصراعات البشرية التى أودت بوحدة العالم وقضت على ما بينه من وشائج وقطعت رباط الألفة بين أبنائه . من أجل ذلك كله وغيره كان العالم ينتظر بلهفة وشوق وجود شريعة تخلصه من تلك الاحن ، وهذه العثرات ، وترتقى به فوق مستوى هذه الترهات ، فكانت شريعة الاسلام تنتظر دورها حينئذ لتشفى الغليل وتهدى السبيل ، وتقضى على هذا الشر الوبيل ، وكانت هى المخلص الوحيد للعالم من أغلال الشرك والعبودية والعنصرية والطائفية والطبقية ، فنزل دستور السماء من رب العالمين ليشرح للناس ما هم فى حاجة اليه واتخذ طريقه فى الوجود ليؤدى مهمته التى جاء من أجلها بكفاية منقطعة النظير ، واتبع كل السبل الممكنة التى تهدف الى وحدة الصف وجمع الشمل وتقوية الروابط ، وايجاد الألفة ونشر المساواة ، ووضع الأسس الصحيحة للأخوة الايمانية الصادقة ، وكان القصد من وراء ذلك تطهير المجتمع الانسانى مما كان قد علق به من أدران التخلف والانحلال واقالته من عثرته ، وازاحة ذلك الكابوس الذى جثم على صدره ردحا من الزمن ، والقرآن فى مهمته السامية تلك يضع المنهج الخليق بالاصلاح المنشود .

لقد شرع الله سبحانه وتعالى ما هو أساس لصرح الاسلام وقواعد لا يكمل الا بها ، وكانت هذه الأسس وتلك القواعد من أقوى العوامل التى تؤدى الى ترابط المجتمع وتماسكه واقامة علاقة الاخاء بين أبنائه ، من هذه التشريعات ما هو أساس لصحة الأعمال وقبولها كالنطق بالشهادتين والاعتقاد الصحيح بمدلول هذا اللفظ ، ومنها ما هو بدنى يصل الانسان بخالقه ويقوى علاقته باخوانه المؤمنين كالصلاة ، ومنها ما هو روحى يعمل على تصفية القلوب ونقائها ويبعث على الشفقة والعطف بالفقراء والمحتاجين كالصيام ، ومنها ما هو مالى يعمل على تصفية النفوس من الشح والبخل والطمع ، ويقيم فيما بين الأفراد التكافل الاجتماعى كالزكاة ، ومنها ما يجمع بين النواحى البدنية والروحية

والمالية كالحج . ومن هذه التشريعات ما يتكرر كل يوم ومنها ما يأتى كل عام ومنها ما يكون على حسب المواسم ، ولكن هدف الجميع واحد ، صلة الانسان بخالقه وصلته بأخيه الانسان ، وقد جمع النبى صلى الله عليه وسلم هذه التشريعات وأعدها أساسا للاسلام الصحيح فى قوله صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »[1] .

وسأتناول هذه التشريعات كلا منها على حدة مبينا أثره فى ترابط المجتمع وارساء علاقة الود والصفاء والحب والاخاء بين أفراد المجتمع مدللا على أن التشريع الاسلامى هو الأوحد فى تكوين مجتمع مؤمن خليق بالتكريم الذى حباه اياه رب العالمين حينما قال لأمة الاسلام :

﴿ كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... ﴾(٢) .

● **الصلاة واثرها فى وحدة المجتمع :**

هى عبادة بدنية يخلص فيها المؤمن الى ربه ويتعلق روحه بخالقه حينما يقف بين يدى مولاه خمس مرات فى كل يوم وليلة فهى رحلة قدسية الى مدارج العبودية الصادقة لله سبحانه وتعالى ، وهى من القواعد الأساسية المكونة لصرح الاسلام ، عرض لها القرآن الكريم من نواح شتى تكلم عنها باعتبارها عبادة قديمة أمر بها رسل الله السابقون ودعوا اليها أقوامهم ، فأبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام حين يذهب بزوجه هاجر وابنها اسماعيل الى المكان الذى أمره ربه أن ينزلهما فيه يدعو ربه بما حكاه القرآن قائلا : **﴿ ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾(٣) .**

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ١٧٧
(٢) آل عمران : ١١٠ (٣) ابراهيم : ٣٧

ويعهد الله الى ابراهيم واسماعيل بتطهير البيت الحرام حتى يكون معدا لاقامة الصلاة فيه ﴿ **وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود** ﴾(١) .

ثم ان اسماعيل عليه الصلاة والسلام يصفه ربه بأوصاف السمو والكمال البشرى ومن هذه الأوصاف أنه يأمر أهله بالصلاة : ﴿ **واذكر فى الكتاب اسماعيل ، انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا . وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا** ﴾(٢) .

وأمرت مريم البتول صديقة بنى اسرائيل بأداء الصلاة : ﴿ **يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين** ﴾(٣) .

وعيسى ابنها تحدث عن وصية الله له بما حكاه القرآن قائلا :

﴿ **قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا اين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا** ﴾(٤) .

هذا الحديث عن الصلاة يظهر لنا أن هذه العبادة كانت منذ أمد بعيد ، وهذا يوضح لنا أهميتها فى تكوين الشخصية الايمانية التى تعد لبنة صالحة فى ذلك المجتمع الكبير .

وتحدث القرآن عن الصلاة فى الشريعة المحمدية ونظر اليها بعدة اعتبارات فهى من أوصاف المتقين : ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾(٥)

وفلاح المؤمن لا يتحقق الا بمحافظته على الصلاة وخشوعه فيها : ﴿ **قد افلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾(٦) .

---

(١) البقرة : ١٢٥ (٢) مريم : ٥٤ ، ٥٥
(٣) آل عمران : ٤٣ (٤) مريم : ٣٠ ، ٣١
(٥) البقرة : ٢ ، ٣ (٦) المؤمنون : ١ ، ٢

... الآيات الى قوله : ﴿ **والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾(١) .

وهى من عناصر الاستعانة على مدلهمات الأمور : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين** ﴾(٢) .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر هرع الى الصلاة ، واذا ما اشتدت به المشاغل الدنيوية وجد فى الصلاة راحة ومتنفسا فيقول لمؤذنه : « أرحنا بها يا بلال » ، وثمرة الصلاة الى جانب ذلك أنها ترقق القلوب وتطمئن النفوس وتبعد المؤمن عن حياة الفحش وارتكاب المنكرات وتخلقه بالأخلاق الطيبة ، بقوله تعالى ﴿ **واقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾(٣) .

واذا كانت طبيعة النفس الانسانية تجمح غالبا الى الشرور وعدم الرضا بالواقع والى الأنانية وحب الذات ، فان الصلاة تهذب هذه النفوس وتصقلها وتخلقها بالأخلاق الفاضلة :

﴿ **ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا . الا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾(٤) .

وأى انسان لا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر فايمانه ناقص وصلاته لم تثمر ثمرتها .

والذين يتهاونون فى هذه الفريضة ويقصرون فى أدائها فمآلهم سوء العاقبة : ﴿ **ما سلككم فى سقر . قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين** ﴾(٥) .

---

(١) المؤمنون : ٩ ـ ١١
(٢) البقرة : ١٥٣
(٣) العنكبوت : ٤٥
(٤) المعارج : ١٩ ـ ٢٣
(٥) المدثر : ٤٢ ـ ٤٧

ويقول تعالى : ﴿ فلا صدق ولا صلى . ولكن كذب وتولى . ثم ذهب الى اهله يتمطى . أولى لك فأولى . ثم أولى لك فاولى ﴾(١) .

كما نعى القرآن على الذين يسهون عن الصلاة بقوله :

﴿ فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾(٢) .

ثم ان واقع الصلاة وما تستوجبه يدل دلالة واضحة على سمو هدفها ونبل غايتها ، فما قبل الصلاة والطهارة من وضوء أو غسل عامل قوى من عوامل النظافة التى تبعث على الألفة والمحبة والائتناس ، فالانسان النظيف فى مظهره وفى مخبره محبوب مرغوب فيه لا ينفر منه أحد ولا يتقزز منه انسان ، لذلك كان الطهور شطر الايمان .

والصلاة فى مظهرها وحقيقتها نمط كامل من الوحدة والترابط ، فكل المصلين يتجهون الى قبلة واحدة على اختلاف أماكنهم وأوطانهم ، يتجه الجميع من شتى بقاع الأرض الى أول بيت بمكة وضعه الله سبحانه وتعالى قبلة للمسلمين ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره .. ﴾(٣) .

والصلاة فى جماعة خير من صلاة الفرد لأنها مثال للترابط بين المسلمين ، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة »(٤) وفى رواية : «بخمسة وعشرين جزءا» ، فالمصلون يقتدون بامام واحد وقد وقفوا صفوفا متراصة ذابت بينهم الفوارق الدنيوية ونسى كل مركزه المادى لأنهم جميعا فى حضرة قدسية عظيمة .

---

(١) القيامة : ٣١ ـ ٣٥ (٢) الماعون : ٤ ، ٥
(٣) البقرة : ١٤٤
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٥ ص ١٥٢

والعيد الأسبوعى للمسلمين هو يوم الجمعة حيث يجتمع عدد كبير من المسلمين فى بيوت الله يستمعون الى الخطبة ويتعلمون منها ما يذكرهم بأمر دينهم ومعاشهم ، وهو مظهر فى غاية الجمال والاجلال :

﴿ يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ﴾(١) .

واذا التزم المؤمن بآداب الجمعة وأقام سننها من غسل وتطيب وعدم التفريق بين الناس والانصات الى الامام فان ذلك سبيل الى مغفرة الذنوب . عن سلمان الفارسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اغتسل يوم الجمعة وتطهر بما استطاع من طهر ثم ادهن أو مس من طيب ثم راح فلم يفرق بين اثنين فصلى ما كتب له ، ثم اذا خرج الامام أنصت ، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى »(٢) .

ومن مظاهر الوحدة الاجتماع القوى بين المسلمين فى عيدى الفطر والأضحى وما يتصل بذلك من عوامل الألفة والمحبة فى هذين اليومين ، وهناك بعض الصلوات الأخرى التى لا تتم الا فى جماعة .

بذلك ندرك أهمية الصلاة فى تكوين وحدة المسلمين وتقوية العلاقة الطاهرة فيما بينهم فهى سبيل الى التعارف والتعاون والتآلف ، يجتمع المسلمون فى مكان واحد يعرف كل منهم الآخر ويتعرف على مشاكله ويساعده فى حلها ويقف الى جانبه ليساعده فى مختلف الظروف .

ان ذلك من المقاصد السامية لهذا الركن من أركان الاسلام لننظر متدبرين كيف كانت الصلاة سبيلا الى تطهير قلب الفرد ونظافة ظاهره ، وعاملا على وحدة المسلمين وتقوية روابط الألفة فيما بينهم ، وهدفا الى توثيق العلاقات بين المسلمين .

* * *

---

(١) الجمعة : ٩

(٢) صحيح البخارى جـ ٢ ص ٩ ، صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٦ ص ١٤٦

● **الزكـــاة :**

هى ركن من أركان الاسلام ودعامة من دعائم الدين أوجبها الله تعالى على كل من ملك نصابها المقدر شرعا وهى عامة فى كل الممتلكات فى العين كالذهب والفضة ، وفى الحرث كالقمح والشعير وسائر الحبوب، وفى المـاشية كالابل والبقر وغيرها ، وفى عروض التجارة وغير ذلك من مصادر الانفاق الأخرى ، وتؤدى فى مصارفها الشرعية ، وأول هذه المصارف : الفقراء والمساكين .

وقد تعرض القرآن لذكر الزكاة أكثر من خمسين مرة ، وكثيرا ما يأتى مقرونا بالأمر باقامة الصلاة ، ونظرا لأهمية هذا الركن الأساسى فى الدين أمر به أهل الشرائع السابقة وذلك كما جاء فى وصية الله لعيسى بقوله :

﴿ وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴾(١) .

وكان اسماعيل عليه السلام يأمر بها أهله بجانب الأمر بالصـلاة فى قوله تعالى **﴿وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا﴾(٢).**

وأخذ الله الميثـاق على بنى اسرائيل أن يقيموا الصـلاة ويؤتوا الزكاة بقوله تعـالى : **﴿ واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للنـاس حسنا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون ﴾(٣).**

وفى شريعة الاسـلام أمر بها فى كثير من المواضع القرآنية فى مثل قوله تعالى : **﴿ واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ، ان الله بما تعملون بصير ﴾(٤) .**

وقـد امتدح الله المزكين الذين يصـونون أنفسهم من البخـل والشره ، وأصـبح دفـع الزكاة عندهم أمرا عاديا يقول الله تعـالى :

---

(١) مريم : ٣١ (٢) مريم : ٥٥

(٣) البقرة : ٨٣ (٤) البقرة : ١١٠

﴿ **والذين فى اموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم** ﴾(١) .. الى غير ذلك من الكثير من الآيات التى تضمنها القرآن الكريم وهى تحث على اقامة هذا الركن المهم من أركان الاسلام .

والزكاة فريضة على الأغنياء وهى حق للفقير فلا تسول للأغنياء أنفسهم أن يمتنوا على الفقير بما يقدمون له ، لأن المال مال الله ، والقرآن يقرر ذلك حينما يقول مخاطبا الأغنياء حاثا لهم على أن يساعدوا المكاتبين من عبيدهم كى يتحرروا : ﴿ **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ...** ﴾(٢).

والأغنياء مستخلفون فى هذا المال فعليهم أن يحسنوا الخلافة بقول الله تعالى : ﴿ **آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير** ﴾(٣) .

ويأمر الله الأغنياء أن يقدموا حق الزرع وقت الحصاد : ﴿ **وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ، ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين** ﴾(٤) .

بهذا المفهوم الرفيع يعرف الغنى وضعه فلا يتعالى على الفقير ولا يتكبر عليه بل يدرك أنه والفقير سواء الا انه يختلف عنه بما استخلفه الله عليه من هذا المتاع الدنيوى ، وحينئذ تسود بينهما علاقة الأخوة والصلة الطيبة ، والذين يستحقون الزكاة هم الفقراء المتعففون الذين يحسبهم من لا يعرف حقيقتهم أنهم أغنياء فهم لا يلحون فى السؤال وهم فى الوقت نفسه عاجزون عن الكسب فلديهم عذر المسألة ولكنهم يمتنعون عنها تعففا وصيانة لمياه وجوههم : ﴿ **للفقراء الذين أحصروا فى**

---

(١) المعارج : ٢٤ ، ٢٥ (٢) النور : ٣٣

(٣) الحديد . ٧ (٤) الانعام : ١٤١

سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا ، وما تنفقوا من خير فان الله بـه عليم ﴾(١) .

* *

● **الزكاة سـبيل الى تطهير النفوس واذابة الفوارق وايجاد مبـدأ المسـاواة :**

ان هذه الفريضة من العوامل القوية فى تصفية النفوس وتطهيرها وزرع المحبة بين الأفراد وغرس روح المودة بينهم يقـول الله تعـالى : **﴿ خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بهـا .. ﴾(٢) .**

والزكاة تقضى على الفوارق التى تملأ المجتمع حقدا وكراهية وتسبب فى قطع وشـائج القرب بين أبنائه ، بها يحس الفقير أن الغنى والتمتع ليس حكرا على لفيف من الناس وغيرهم يعيش فى عناء البؤس والحرمان بل ينتهى كل ذلك وتلتقى الأحاسيس المؤمنة وقد نسيت تلك المظـاهر الدنيوية وتعانقت بالحب والاخلاص ، بهـذه الفريضة تموت الطبقية الاقتصادية القاتلة ويتواضع الأغنياء ويرتقى الفقراء وتزول من بينهم أسباب الفرقة وينشأ التكافل الاجتماعى بين الأفراد بحيث لا يعيش الغنى متمتعا بنشـوة غناه غارقا فى كل الملذات المحببة لديه والفقير يظل محروما ، وانما يكفل الغنى بما يقدم لأخيه حياة طيبة سعيدة يرى فيها لذة العيش ونشوة الحياة . والزكاة نماء للمال وتطهير له اذ يحرص الفقير على أموال الغنى لأنه ينتفع بها فيصونها ويحافظ عليها ويدافع عنها ، ويذب بكل قواه عنها كيد المعتدين ، ويكون فى ذلك نماء لهذا المـال ويبارك فيه ، والغنى يشـعر بنتيجة بذله وانفاقه وعطائه فيسـتمر الانفاق ، وبذلك لا يوجد فى المجتمع بخيل ولا شره ولا جشـع ، ولا يوجـد حاقـد أو مبغض ويظل المجتمع متماسكا متآلفا .

---

(١) البقرة : ٢٧٣ (٢) التـوبة : ١٠٣

واذا كانت الزكاة تثمر هذه الثمرة مع أى فقير ما فان ثمرتها مع الأقرباء أعظم وآكد من الناحيتين الدنيوية والأخروية • عن اسحاق بن عبد الله بن طلحة أنه سمع أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل ، وكانت أحب أمواله اليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس : فلما أنزلت هذه الآية : ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾(1) ، قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ وان أحب أموالى الى بيرحاء ، وانها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث أراك الله ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بخ •• ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت وانى أرى أن تجعلها فى الأقربين » • فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه(2) • بذلك نعلم أن الصدقة على المسكين صدقة وعلى القريب صدقة وصلة •

وهكذا تتضح لنا أهمية فريضة الزكاة للمجتمع الاسلامى •

* * *

● **الصوم :**

هو عبادة روحية يسمو فيها المؤمن بنفسه ويرتقى بروحه ويطهر قلبه ويراقب ربه ، وهى تصور الاخلاص الكامل لله تعالى فى أسمى معانيه ، وأساس هذه العبادة أن يحكم الانسان نفسه ويتملك غريزته ، ويصل بعزيمته الى أرفع مكانة لها فى القوة والثبات ، والصوم تهذيب للنفوس وتدريب لها على تحمل المشاق والامتناع عما تشتهيه وارتكاب المصاعب فى أداء ما طلب منها ، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصوم

---

(1) آل عمران : ٩٢

(2) صحيح البخارى جـ ٢ ص ١٤٦ ، صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٧ ص ٢٨٧

فى القرآن الكريم فنادى المؤمنين وخاطبهم وألزمهم بها فى الفريضة وبين لهم عظم غايتها وهى التقوى ملفتا أنظارهم أن هـذه العبادة قد فرضها الله تعـالى على الأمم السـابقة فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾(١) .

والتقوى التى هى غاية الصـيام هى جماع أوصاف الخير كله ، وبهذا المفهوم الصحيح لغاية الصوم نستطيع أن ندرك حقيقته .

فالمفهوم اللغوى له « الامساك » وعند أهل الفقه : الامسـاك عن شهوتى البطن والفرج يوما كاملا من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، واذا ما وقفنا بأفكارنا وادراكنا عند هذا المفهوم الفقهى فقط فان الصوم حينئذ لا يثمر ثمرته المرجوة ، ولكن كى نفهم الصوم على حقيقته ونتذوق حكمته النبيلة لا بد أن نعيش مع المفهوم اللغوى له وهو مطلق الامساك فيتناول الامساك عما أمر الله باجتنابه من الأمور المباحة وبذلك يصـل بالنفس الى السيطرة عليها وكبت جماحها وتهذيبها . والامساك عن كل ما حرم الله فهو وان كان مطلوبا فى كل الأوقات فى الصيام وغيره ، لكنه يكون فى الصوم آكد ، وهو يصل بالنفس الى تطهيرها وتنقيتها وتزكيتها وحينئذ نقف على أهمية الصوم فى تنظيم العلاقات بين المؤمنين ، ويوضح هذا أكمل ايضاح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : فعن أبى صالح الزيات أنه سـمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يسخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى امرؤ صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصـائم أطيب عنـد الله يوم القيـامة من ريح المسـك » .

« وللصائم فرحتان يفرحهما : اذا أفطر فرح بفطره ، واذا لقى ربه فرح بصومه »(٢) .

---

(١) البقرة ١٨٣

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٨ ص ٣٠ ، ٣١ ، صحيح البخارى جـ ٣ ص ٣٤

فاذا وصل الصوم بصاحبه الى أن يصون نفسه عن الاعتداء على الآخرين بأى شكل ما ، بالقول أو بالفعل • وسيطر على نفسه كذلك حتى لا يقابل الاساءة بالاساءة بل يصفح ويعفو فانه حينئذ يكون قد وصل اخوانه المؤمنين بصلة الصفح والتغاضى عن الهفوات ويقوى بينهم علاقة الحب والوئام ، وقد صدق الله العظيم :

﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾(١) •

ومن ثمار الصوم فى توطيد علاقات المؤمنين أنه يغرس فى نفوس الأغنياء روح البذل والعطاء حين يحسون وهم صائمون بحاجتهم الى الطعام والشراب فيتسارعون الى اشباع الجائع وري الظامىء وتكون النهاية التحاب والتعاطف المتبادل بين الأغنياء والفقراء •

وشهر رمضان يعتبر زادا روحيا للعالم كله حيث تستمر آثاره العظيمة مع المؤمنين دائما ويؤدى ذلك الى صدق الايمان وتبادل التراحم والتواد بين أفراد المجتمع جميعهم •

* * *

● الحـــج :

هو هذه الرحلة التى يقوم بها القادرون تاركين وراءهم ما تعلقت به نفوسهم من الأمور الدنيوية حتى المخيط من الثياب أو المحيط منها قاصدين البيت الحرام أول متعبد وضع للناس فى الأرض خرجت هذه الجموع الحاشـــدة من مختلف بقاع الأرض متحملة المصاعب ولم تعبأ بما يصادفها من عناء الرحلة وقـــد استجاب الجميع بقلوبهم لأمر الحق عز وجـــل : **﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ﴾(٢) •**

جاءوا الى هذا المكان ملبين دعوة الخليل ابراهيم عليه الصـــلاة والسلام بأمر من الله عز وجل : **﴿ وأذن فى النـــاس بالحج يأتوك رجالا**

---

(١) فصلت : ٣٤ (٢) آل عمران : ٩٧

وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام .. ﴾(١) .

ان هذه الفريضة بمثابة مؤتمر اسلامى عام يجتمع فيه المسلمون من مختلف أنحاء المعمورة على تباعد أماكنهم وتباين لغاتهم واختلاف أجناسهم وتعدد ألوانهم ، ولكنهم جميعا اتحدوا فى المقصد والهدف والغاية ، مظهرهم ومخبرهم لتقوى فيما بين الجميع روح الأخوة الاسلامية والتعاون على البر والتقوى ونبذ الاثم والعدوان ، ان الصورة التى يظهر بها هذا الجمع الغفير من الناس تعبر تعبيرا صادقا وتدل دلالة واقعة على أن هذا الدين شعاره المساواة .

ومناسك الحج كلها تجسيد كامل لوحدة المسلمين ونشر روح المساواة بينهم فقد ترك كل وطنه بما فيه وتجرد لهذه العبادة فالجميع ضيوف الله يقصدون مكانا واحدا هو ملتقى الجميع ونيتهم كذلك واحدة : أداء هذه الفريضة .

واذا كان المسلمون قد جاءوا من بلادهم والتقوا باخوانهم فعليهم أن يهتدوا بالقرآن فى معاملة بعضهم البعض حتى تتحقق الثمرة المرجوة من وراء هذه الرحلة الفريدة ، عليهم أن يزيلوا أسباب الخصام والفرقة وأن يطهروا نفوسهم ، وأن يباعدوا بينهم وبين المجادلات التى تفضى غالبا الى الكراهية والشحناء ويعودوا الى بلادهم بعد أداء فريضة الحج اخوة متحابين .

ان الحاج المسلم حقيقة هو الذى اذا فارق اخوانه بجسده يظل متعلقا بهم بكل أواصر الألفة والتعاون والتعارف ، وتكون تلك هى المنافع التى حظى بها ذلك الشخص الذى قصد بيت الله الحرام[٢] .

* * *

---

(١) الحج : ٢٧ ، ٢٨

(٢) انظر : العلاقات الانسانية فى القرآن والسنة ـ مجاهد محمد هريدى ، ص ١٥٧ ـ ١٩٠ (بتصرف) .

المبحث الثالث

الأخلاق الاسلامية وأثرها على الأخوة

﴿ ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾(١) .

وان من يتتبع القرآن الكريم والأحاديث النبوية يجد كثيرا من الأخلاق الاسلامية الكريمة ، التى تؤدى الى الانسان الكامل ، وسنذكر فيما يلى بعضا من الآيات والأحاديث الخلقية ، التى تتعلق بالآداب الاسلامية ، والأخلاق المحمدية .

● **وصية لقمان عليه السلام لابنه فى الأخلاق :**

قال تعالى : **﴿ يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾(٢) .**

ففى هذه الآيات الكريمة نجد وصية من أب حكيم لابنه ، وهو أحب الناس اليه ، وفى تلك الوصية يوصيه باقام الصلاة فى أوقاتها المحددة لها ، لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وينصح له بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، بارشاد الخلق الى ما يصلح حالهم ، وينظم شئونهم ، ويقوم ما اعوج من أخلاقهم ، والصبر على أذى الناس ، وتحمل المشقات والآلام ، التى تحدث لمن يأمر بالفضيلة ، وينهى عن الرذيلة .

﴿ ولا تصعر خدك للناس ﴾ : لا تعرض بوجهك عنهم اذا حدثتهم أو حدثوك استكبارا عليهم ، واحتقارا لهم ، بل تواضع للصغير منهم والكبير ، وكن لين الجانب معهم ، حتى يتبعوا ما تأمرهم به ، ويجتنبوا ما تنهاهم عنه .

﴿ ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان انكر الأصوات لصوت الحمير ﴾

---

(١) الاسراء : ٩ (٢) لقمان : ١٧ ــ ١٩

والمعنى المراد : اذا سرت فى الطريق فلا يكن سيرك خيلاء ، فان الله لا يحب كل مختال فخور متكبر ، ولا تبطىء فى مشيك ولا تسرع ، بل توسط ، فخير الأمور الوسط . واذا تكلمت فأخفض صوتك ، ولا ترفعه زيادة عن الحاجة ، حتى لا تؤذى السامع ، ولا يكون صوتك منكرا قبيحا مثل صوت الحمير .

* * *

● **من خطبة للرسول فى حسن الأخلاق :**

ومن خطبة له صلى الله عليه وسلم : « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالط أهل الذل والمسكنة . طوبى لمن زكت وحسنت خليقته وطابت سريرته ، وعزل عن الناس شره . طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم تستهوه البدعة »[1] .

فالرسول الكامل يبشر بالخير من يشغل نفسه عن عيوب الناس باصلاح ما لديه من عيوب ، ويبشر من ينفق ماله فى أوجه الخير والبر ، ومن يجالس العلماء والحكماء ، ويخالط الفقراء ، ويشجع من طهرت سريرته ، وحسنت سجيته وأخلاقه ومنع شره عن الناس ، وتصدق على المحتاجين بما زاد من ماله ، وقال خيرا أو سكت ، وتمسك بالسنة وترك البدعة ، وهى الحدث فى الدين بعد الاكمال .

* * *

● **حسن الخلق من المبادىء الاسلامية :**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان خياركم أحسنكم أخلاقا »[2] . فخير المسلمين أحسنهم خلقا ، وشرهم أقبحهم خلقا . ومن الأخلاق الاسلامية الحسنة : الوفاء ، والصدق والأمانة والايثار والشجاعة ، والكرم والاحسان والعفة والصبر والرحمة والزهد والتواضع

---

(١) صبح الاعشى جـ ١ ص ٢١٣
(٢) صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٨١٠ ، ٢٣٢١

والاخلاص ، والحلم والحكمة وضبط النفس ، والعفو عند المقدرة . ومن الصفات القبيحة التى ينكرها الاسلام : الغدر والكذب والخيانة والبخل والجبن والغيبة والنميمة والحقد والشره ، والكبر والغضب والحمق والانتقام ... قال عليه الصلاة والسلام : « ان من أحبكم الى ، وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا »[1] .

فالاسلام دين الخلق الكريم ، وقد خاطب الله محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ **وانك لعلى خلق عظيم** ﴾[2] .

وقد تخلق الرسول بأخلاق القرآن الكريم وآدابه ، ولهذا كان يقول : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[3] من شهامة واباء ، وعزة نفس ، وعلو همة ، واقدام ، ونزاهة ، وقناعة ...

* * *

● **حسن الخلق وأثره :**

ان حسن الخلق يؤدى الى الألفة والمحبة ، وسوء الخلق يؤدى الى الكره والحسد . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله ، وحسن الخلق »[4] .

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما خير ما أعطى الانسان؟ فقال : « خلق حسن »[5] فخير صفة يتحلى بها الانسان هى حسن الخلق. وقال صلى الله عليه وسلم : « أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن »[6].

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما حسن الله خلق امرىء وخلقه فيطعمه النار »[7] .

---

(١) الترمذى جـ ٤ ص ٢٧٠ ، ٧١ ، ٢٠١٨
(٢) القلم : ٤
(٣) احمد والبيهقى والحاكم ـ مسند احمد جـ ٢ ص ٣٨١
(٤) الترمذى جـ ٦ ص ٢١٤ ، ٢٠٠٥
(٥) ابن ماجه جـ ٣ ص ٢٤٤ ، ٢٠٧١
(٦) الترمذى جـ ٣ ص ٢٤٤ ، ٢٠٧٠
(٧) ابن عدى والطبرانى .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة ، عليك بحسن الخلق » .

فقال أبو هريرة رضى الله عنه : وما حسن الخلق يا رسول الله ؟

قال : « تصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك »[1] .

فحسن الخلق فى رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم هو النبل ، فالانسان الذى يصل من يقطعه ، ويعفو عمن يظلمه ، ويعطى من يحرمه يعد نبيل الأخلاق مؤمنا حقا .

ان روح الاسلام يستدعى من المسلم أن يخاف الله فى السر والعلانية ، فى كل عمل يفكر فيه ، أو يقدم عليه ويتقى الله حق تقواه ، ويفكر دائما فى النواحى الانسانية ، والأغراض النبيلة الاسلامية ، ويبتغى فى كل عمل ارضاء الله ، ويدعو الى الخير ، ويستنكر كل شر ، ويعين أخاه المسلم ، ويتعاون معه على البر والتقوى ، ولا يتعاون على الاثم والعدوان ، ويخلص فى أقواله وأفعاله الاخلاص كله .

قال العزيز الحكيم : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون** ﴾[2] ، [3] .

ومن أتم حفاظ الاخوة تفقد الرجل أمور من يوده . والود الصحيح هو الذى لا يميل الى نفع ، ولا يفسده منع ، والمودة أمن كما أن البغضاء خوف . والعاقل لا يؤاخى الا من خالفه على الهوى وأعانه على الرأى ووافق سره علانيته ، وليس الغرض من المؤاخاة الاجتماع والمواكلة والمشاربة ، فالسراق يتجمعون ويشتركون فى المأكل والمشرب ولا يزدادون بذلك مودة ، ولكن من أسباب المؤاخاة التى يجب على المرء لزومها : مشى القصد ، وخفض الصوت وقلة الاعجاب ولزوم التواضع

---

(١) البيهقى فى شعب الايمان ، ومسند أحمد جـ ٤ ص ١٤٨

(٢) آل عمران : ١٠٢

(٣) انظر روح الاسلام ـ محمد عطية الأبراشى ، ص ٥٣ وما بعدها (بتصرف) .

وترك الخلاف ، وألا يكثر على اخوانه المئونات فيبرمهم ، وألا يمنعهم شيئا يحتاجون اليه ليجبروا به مصائبهم أو يفرجوا به كربتهم .

والعاقل لا يؤاخى لئيما لأن اللئيم كالحية الصماء ليس عندها الا اللدغ والسم ، ولا يصل اللئيم لأنه لا يؤاخى الا عن رغبة أو رهبة ، والكريم يود الكريم على لقية واحدة ولو لم يلتقيا بعدها أبدا ، والحذر من لم يستصغر الجفوة اليسيرة لأن من استصغر الصغير يوشك أن يجمع اليه صغيرا فاذا الصغير كبير .

وقد وضع عمر بن الخطاب رضى الله عنه للناس ثمانى عشرة كلمة حوت الكثير من أصول الأخلاق قال :

١ ــ ما كافأت من يعصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .
٢ ــ ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك .
٣ ــ لا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا وأنت تجد لها فى الخير محملا .
٤ ــ من تعرض للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن .
٥ ــ من كتم سره كانت الخيرة فى يده .
٦ ــ عليك باخوان الصدق تعش فى أكنافهم ، فأنهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء .
٧ ــ عليك بالصدق وان قتلك الصدق .
٨ ــ لا تعرض لما لا يعنيك .
٩ ــ ولا تسأل عما لم يكن ، فان فيما كان شغلا عما لم يكن .
١٠ ــ ولا تطلبن حاجتك الى من لا يحب لك نجاحها .
١١ ــ ولا تصحبن الفاجر فتعلم فجوره .
١٢ ــ اعتزل عدوك .
١٣ ــ واحذر صديقك الا الأمين .
١٤ ــ ولا أمين الا من خشى الله .
١٥ ــ وتخشع عند القول .
١٦ ــ وذل عند الطاعة .

١٧ ــ واعتصم عند المعصية .

١٨ ــ واستشر فى أمرك الذين يخشــون الله ، فان الله يقول :

﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾(١) .

وقال أبو حاتم : اللبيب لا يؤاخى الا ذا فضل فى الرأى والدين والعلم والأخلاق الحسنة وذا عقل نشأ مع الصالحين ، ومن أضاع تعهد الود من اخوانه حرم ثمرة اخائهم وآيس الاخوان من نفسه ، ومن ترك الاخوان مخافة تعاهد الود يوشك أن يبقى بغير أخ ، وليس من السرور شىء يعدل صحبة الاخوان ، ولا غم يعدل غم فقدهم .

* * *

● **التحبب الى الناس :**

فى الحديث المرفوع : « أحب الناس الى الله أكثرهم تحببا الى الناس » وفيه أيضا : « اذا أحب الله عبدا حببه أيضا الى الناس » ومما قيل فى هــذا المعنى :

وجه عليه من الحيــاء ســكينة ومحبــة تجــرى مع الأنفــاس
واذا أحب الله يومــا عبــده ألقى عليــه محبــة للنــاس

وكتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما : « ان الله اذا أحب عبدا حببه الى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أن ما لك عنــد الله مثل ما للناس عندك » . وقال أبو دهمان لسعيد بن مسلم وقد وقف الى بابه فحجبه حينا ثم أذن له ومثل بين يديه : « ان هذا الأمر الذى صار اليك وفى يديك قد كان فى يدى غيرك ، فأمسى والله حديثا ان خيرا فخير وان شرا فشر ، فتحبب الى عباد الله بحسن البشر وتسهيل الحجاب ولين الجانب ، فان حب عباد الله موصــول بحب الله وبغضهم موصول ببغض الله ، لأنهم شــهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله » .

---

(١) فاطر : ٢٨

وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يحرم على النار كل هين لين قريب سهل » وقال بعض الحكماء : حرى بالعاقل أن يتحبب الى الناس بلزوم حسن الخلق وترك سوء الخلق ، لأن الخلق الحسن يذيب النقائص كما تذيب الشمس الجليد ، وان الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل ، وقد تكون فى الرجل أخلاق كثيرة صالحة وخلق سيء ، فيفسد الخلق السيء الأخلاق الصالحة كلها .

وقال ابن عياض : اذا خالطت فخالط حسن الخلق فانه لا يدعو الا الى خير وصاحبه منه فى راحة ، ولا تخالط سيء الخلق فانه لا يدعو الا الى شر وصاحبه منه فى عناء .

وقال بعض الفلاسفة : حسن الخلق بذر اكتساب المحبة ، كما أن سوء الخلق بذر استجلاب البغضة . وقال أيضا : الاستثقال من الناس يكون سببه شيئين :

أحدهما مقارفة المرء ما نهى الله عنه من المآثم لأن من تعدى حرمات الله أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة ، ثم يوضع له البغض فى الأرض فلا يكاد يراه أحد الا استثقله وأبغضه .

والسبب الآخر هو استعمال المرء من الخصال ما يكره الناس منه ، فاذا كان كذلك استحق الاستقال منهم .

ومن أعظم ما يتوسل به المرء الى الناس ويستجلب به محبتهم البذل لهم بما يملك من حطام هذه الدنيا واحتماله عنهم ما يكون منهم من الأذى : فلو أن المرء صحبه طائفتان احداهما تحبه والأخرى تبغضه فأحسن الى التى تبغضه وأساء الى التى تحبه ، ثم أصابته نكبة فاحتاج اليهما ـ لكان أسرعهما الى خذلانه وأبعدهما عن نصرته الطائفة التى كانت تحبه ، وأسرعهما الى نصرته وأبعدهما عن خذلانه الطائفة التى كانت تبغضه[1] .

* * *

(١) انظر : الخلق الكامل ـ محمد أحمد جاد المولى جـ ٤ ص ٢٠٢ وما بعدها .

المبحث الرابع

التجاوز عن زلة الآخرين

ان غض الطرف عما يرى الانسان من عيوب مبدأ أخلاقى ، وأدب اجتماعى رفيع ، ولو أن كل انسان علم عيبا أو رأى خطأ فى غيره نشره وأشاعه بين الناس ما بقى انسان سليما من قالة السوء ، خصوصا اذا كان تجريح الآخرين مبنيا على الوهم والتخيل الفاسد كما هو شأن الكثيرين .

وفى الناس طوائف لا هم لها الا تصيد الأخطاء بحق أو بغير حق لنشرها بين الناس من أجل تنقيص الغير واشاعة الريب من حواله .

ولو أدرك المتسلطون بألسنتهم على أهل الاسلام وجنده خطورة ما يفعلون لكفوا عما يقولون . وتابوا مما يلمزون ويطعنون .

ولو كان لهم فقه فى دين الله ، وادراك لخطورة ألسنتهم . وما يشيعون ضد اخواتهم لشعروا بالخزى وتأنيب الضمير .

ولو خافوا ربهم واتقوا عذابه وخزيه لهم يوم القيامة ما وقعوا فى أعراض غيرهم ، وما استباحوا ما حرم الله تعالى من اشاعة السوء عن اخوانهم المسلمين .

ان الله تعالى توعد الذين يحبون أن تشيع قالة السوء فى المؤمنين بالعذاب الأليم فقال :

﴿ ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وانتم لا تعلمون ﴾(١) .

والذين يحرصون على فضح غيرهم ، وفقد الثقة فيهم يؤذون هذا الغير ايذاء منكرا يستحقون عليه عذاب الله تعالى ان لم يثبت صدق ما يشنعون به ، قال تعالى :

---

(١) النور : ١٩

﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ﴾(١) .

فان قالوا : اننا نؤذى من كسب سيئة ووقع فى خطأ ، قيل لهم : وأى انسان هو برىء من الخطأ ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « كل بنى آدم خطاء » ؟

ومن أذن لكم فى ايذائه ؟

ان المعصوم من الخطأ هو الرسول فقط ، وأما غير الرسل فهم عرضة للخطأ فى كل حين ، ولو فتش العيابون لظهر أنهم يقترفون من الآثام ما لا يطاق ولا يسمح بذكره ، ولو كانت طواياهم سليمة ما تتبعوا عورات الناس وأخطاءهم ، وقد علموا خطورة هذا الفعل الشنيع .

ان المسلمين مطلوب منهم أن يستروا أخطاء غيرهم ولو كانت فاحشة منكرة الا فى حالات خاصة منها :

١ ــ أن مرتكب الفاحشة يجهر بها ويعلنها تفاخرا ووقاحة .
٢ ــ أو أن يفعلها على ملأ من الناس وعلم منهم .
٣ ــ أو أن تكون الفاحشة قد انتشرت فى الأمة واجترأ عليها الناس .

٤ ــ أو أن تكون حقا فى النفس أو فى المال يجب عليه أن يشهد به حتى لا تهدد النفوس وتضيع الأموال .

وعلى هذا تحمل الأحاديث الواردة فى الستر مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة »(٢) .

---

(١) الأحزاب : ٥٨

(٢) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٠٢ ، ٢٥٩٠ .

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم : « ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة »[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة »[2] والموءودة هى البنت التى كانت تدفن بعد الولادة حيـة لتموت .

قال الامام النووى فى شرح مسلم عند حديث : « ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة» : «وأما الستر المندوب اليه هنا فالمراد به الستر على ذوى الهيئات (أهل الفضل) ونحوهم ممن ليس هو معروفا بالأذى والفساد ، وأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه ، بل ترفع قضيته الى ولى الأمر ان لم يخف من ذلك مفسدة ، لأن الستر على هذا يطمعه فى الايذاء والفساد وانتهاك الحرمات ، ويؤدى الى جسارة غيره على مثل فعله .... وهذا كله فى ستر معصية وقعت وانقضت ، أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس فتجب المبادرة بانكارها عليه ، ومنعه منها على من قدر على ذلك ، فلا يحل تأخيرها ، فان عجز لزمه رفعها الى ولى الأمر اذا لم يترتب على ذلك مفسدة » .

وقد ذكر المهدوى فى تفسيره : انه لا ينبغى لأحد أن يتجسس على أحد من المسلمين فان اطلع منه على ريبة (ذنب) وجب أن يسترها ويعظه مع ذلك ويخوفه بالله تعالى[3] .

وأخرج أبو داود والنسائى عن ذخير أبى الهيثم كاتب عقبة ابن عامر رضى الله عنه قال : قلت لعقبة بن عامر : ان لنا جيرانا يشربون الخمر وأنا داع لهم الشرط ليأخذوهم ، قال : لا تفعل وعظهم وهددهم، قال : انى نهيتهم فلم ينتهوا ، وأنا داع لهم الشرط ليأخذوهم ، قال : ويحك لا تفعل ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ستر عورة .... » الى آخر الحديث بمعناه السابق .

---

(١) المستدرك على الصحيحين ـ الحاكم النيسابورى جـ ٤ ص ٣٨٤
(٢) أبو داود جـ ٥ ص ٢٠٥ ، ٤٨٩١
(٣) الآداب الشرعية جـ ١ ص ٢٢٦

وأخرج هناد والحارث عن الشعبى أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : ان لى ابنة كنت وأدتها فى الجاهلية ، فاستخرجناها قبل أن تموت ، فأدركت معنا الاسلام فأسلمت ، فلما أسلمت أصابها حد من حدود الله ، فأخذت الشفرة لتذبح نفسها ، فأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها (عروق الذبح فى العنق) فداويناها حتى برئت ، ثم أقبلت بعد بتوبة حسنة ، وهى تخطب الى قوم ، فأخبرتهم من شأنها بالذى كان ، فقال عمر : أتعمد الى ما ستر الله فتبديه (تظهره) ، والله لئن أخبرت بشأنها أحدا من الناس لأجعلنك نكالا (عبرة) لأهل الأمصار ، بل أنكحها نكاح العفيفة المسلمة .. (كذا فى الكنز) .

وأخرج البيهقى عن الشعبى قال : جاءت امرأة الى عمر رضى الله عنه فقالت : يا أمير المؤمنين ، انى وجدت صبيا ووجدت قبطية (ثوب من ثياب مصر رقيق) فيها مائة دينار ، فأخذته واستأجرت له ظئرا (مرضعة) وأن أربع نسوة يأتينه ويقبلنه ، لا أدرى أيتهن أمه ؟ فقال لها : اذا أتينك فأعلمينى . ففعلت ، فقال لامرأة منهن : أيتكن أم هذا الصبى ؟ فقالت : والله ما أحسنت ولا أجملت يا عمر !! تعمد الى امرأة ستر الله عليها فتريد أن تهتك سترها ؟ قال : صدقت ، ثم قال للمرأة : اذا أتينك فلا تسأليهن عن شىء ، وأحسنى الى صبيهن ، ثم انصرف .. (كذا فى الكنز ـ وذكر تلك القصص صاحب حياة الصحابة جـ ٢ ص ٧٣٠) .

وستر المسلم واجب فى حالات مثل حالة الزنا التى لم يتم فيها عدد الشهود أربعا ، وحالة ما اذا كان الذنب يخص المذنب لا يتعداه الى غيره ، ونشره يعتبر فضيحة وخزيا ، وحالة ما اذا كان النشر يؤدى الى فساد أكبر أو الى فتنة بين الناس ، وفى حالة ما اذا كان سببا فى فقد الثقة فى انسان ينتفع الناس بالثقة فيه ، وفى حالة ما اذا كان المذنب سائلا يبحث عن حكم الشرع فى ذنبه وكيف يتوب منه ... الخ .

كما يجب على المسلم اذا أذنب ذنبا أن يستر ذنبه ولا يستعلن به ، ولا يحدث به الناس الا اذا كان مستفتيا أو طالبا اقامة الحد على نفسه

فيعترف بذلك للحاكم ، لأن الجهر بالمعصية معصية ، حيث ان الجهر بها يشجع الآخرين على الوقوع فيها ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :

« كل أمتى معافى الا المجاهرين ، وان المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله ، فيقول : يا فلان ، عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه »[1] .

ومعنى الحديث أن الله تعالى يعفو عمن أذنب ولا يؤاخذه بذنبه الا اذا أعلن الذنب وجهر به ، أو تحدث به عند انسان يعلمه ويجاهر به .

وقد ذكر النووى أن من جاهر بفسقه أو بدعته جاز ذكره بما جاهر به لأنه كشف نفسه .

وقال ابن بطال : فى الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ، وحق رسوله ، وحق صالحى المؤمنين ، وفيه ضرب من العناد لهم ، وفى الستر بها السلامة من الاستخفاف ، لأن المعاصى تذل أهلها ، والسلامة من اقامة الحد عليه ان كان فيه حد ، ومن التعزير (التأديب) ان لم يوجب حدا ، واذا تمحض حق الله تعالى فهو أكرم الأكرمين ورحمته سبقت غضبه ، ولذلك اذا ستره فى الدنيا لم يفضحه فى الآخرة ، والذى يجاهر به يفوته جميع ذلك[2] .

واذا كانت الغيبة هى ذكرك أخاك بما يكره وان كان فيه ذلك ، فان فضيحة أى مسلم بغير مبرر شرعى تعتبر غيبة[3] .

* * *

(١) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٢٩١ ، ٢٩٩٠

(٢) ملخصا من فتح البارى ـ ابن حجر العسقلانى جـ ١٠ ص ٤٠٥

(٣) السلوك الاجتماعى فى الاسلام ـ حسن أيوب ، ص ٣١٢ ، ٣١٥